﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ٦٩﴾ [الحجر: 69]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الدّعوةُ إلى الله جمْعٌ في التّحفيز بين الوازعِ الدّينيّ، والوازعِ العُرفيّ

لمّا ذكَرَ لوطٌ لقومِه الوازعَ العرفيَّ في قولِه: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾ أتبعَه بالوازعِ الدّينيِّ في هذه الآيةِ استقصاءً بالدّعوة التي جاء بها(1).

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾: أصْلُ الخِزْيِ: ذلٌّ يُسْتَحى مِنْهُ؛ ولذلك يُسْتَعْمَلُ في كلٍّ منهما، أي: الذُّلّ والاسْتِحْياء(2)، وقيل أصلُه: الإبعاد، فقولُهُم: أَخْزاهُ اللّه، أي أَبْعَدَهُ وَمَقَتَهُ(3). والخِزْيُ الفَضيحةُ، وقد خَزِيَ يَخْزَى خِزْيًا إذا افْتَضَحَ وتَحيَّرَ فَضِيحَةً(4)، والخِزْيُ أيضًا: السّوء(5)، والهَوانُ(6). والمقصود بالخِزي في الآية: الذُّلُّ والإهانَةُ(7).

المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّعرُّضُ للضّيف بعد حمايتِه، أجْلَبُ للعارِ

قال لوطٌ لهم: وخافوا اللّهَ أن يُحِلَّ بكم عَذابَه، ولا تُذِلّوني وتُهينوني بالتعَرُّضِ لضيوفي بمَكروهٍ(8).

الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

حقُّ الضّيفِ أقرَّه العُرفُ والدّينُ، في كلِّ العُصورِ

دَلالةُ الوصْلِ بالواوِ في قولِه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّـهَ﴾:

أفادَ حرفُ العطفِ أنَّ الأمرَ في قولِه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ داخلٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/66.
(2) الزبيدي، تاج العروس: (خزي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خزي).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (خزي).
(5) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة: (خزي).
(6) الزبيدي، تاج العروس: (خزي).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/66.
(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/39.

في حيّزِ المسبَّب وما أفادتِ الفاءُ ترتّبَه على ما قبلَه في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾، والمعنى لأنَّ هؤلاء ضيفي؛ فلا تفضحون، ولأنَّهم ضيفي فاتّقوا اللّه، ومثلُه الواو في ﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾، والمعنى: ولأنَّ هؤلاء ضيفي فلا تخزونِ.

سببُ ربْطِ الأمرِ بتقوَى الله:

التّقوَى تَقتضي خشيةَ الله، والحذرَ من عقابِه

لم يأمرْ لوطٌ قومَه بالإيمان باللّه مع أنَّه الأصلُ؛ لاقتضاء المقام أن يأمرَهم بالتّقوى لِما تقتضيه التّقوَى من خَشيةِ اللّه والحذرِ من عقابِه، ففيه إشعارٌ بأنَّ فعلَكم يقتضي عقابًا شديدًا، والمعنَى: فاتّقوا اللّه في ركوب الفاحشةِ[1].

دَلالةُ حذْفِ متعلّقِ ﴿وَٱتَّقُواْ﴾:

تقوَى الله وِقايةٌ من كلِّ سوءٍ مُؤذٍ، أو مُنكَرٍ مُسْتبشَعٍ

حُذِفَ متعلَّقُ ﴿وَٱتَّقُواْ﴾، ولم يقل مثلًا (واتّقوا اللّه في ضيفي أو في فعلِكم أو في ركوب الفاحشةِ) للإيذانِ بأنَّ المقصودَ تحصيلُ تقوَى اللّه مُطلقًا، ففيها وقايةٌ من كلِّ سوءٍ أو منكرٍ.

سِرُّ الجمْعِ بين الأمرِ والنَّهيِ في الآية:

الأدبُ مع الرّسولِ الأكرمِ وأهلِ بيتِه، منَ التّقوَى والمَبَرّةِ

قولُه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ﴾، وفيه جمعَ بين الأمرِ بتقوَى اللّه تعالى والنّهيِ عن إخزائِه، لِما تفيدُه تقوَى اللّه من مُراعاةِ حقِّ رسولِ اللّه وأهلِ بيتِه الطّاهِرين، فيكونُ قد ذكّرَهم باللّه وبما يوجِبُه الأدبُ والخُلقُ مع رسول اللّه ومع الضّيفِ.

نُكتةُ التَّعْبير بقولِه: ﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾:

التّعرُّضُ للضَّيفِ بالسّوءِ، أعظمُ العارِ

لمّا كان التّعرّضُ لضيفِ لوطٍ عليه السلام بعد أن نهاهُم عنه بقوله: ﴿فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾، أكثرَ تأثيرًا في جانبِه عليه السلام وأجلبَ للعارِ إليه؛ إذِ التَّعرُّضُ للضَّيفِ بعدَ العلمِ بكونِه ضيفًا وبعد المُناصبةِ بحمايتِه أعظمُ العارِ، عبَّر عليه السلام عمّا سَيعتريه بسبب لِجاجِهم ومُجاهرتِهم بمخالفتِه من

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/416.

الهوانِ والذِّلَّةِ والاستخفافِ والبُعدِ عنِ النّاس بسبب الفضيحة، والمعنَى لا تهينوني بالتّعَرّضِ لهم، ويحتملُ أن يكونَ الفعلُ ﴿تُخۡزُونِ﴾ منَ الخزاية وهي الحياء أي لا تُخجِلوني في ضيفي ولا تَجعلوني أَسْتَحيي منّ النّاس بتعرّضكم لهم بالسّوء(1).

سِرُّ عدمِ تَصْريحِ لوطٍ في الآية:

لم يصرِّح عليه السلام بالنَّهي عن نفس تلك الفاحشةِ؛ لعلْمِه بأنَّه لا يفيدُهم ذلك، ورعايةً لمزيدِ الأدبِ مع ضيفِه، حيث لم يصرِّحْ بما يَثْقُلُ على سمْعِهم وتنفرُ عنه طباعُهم ويرى الحرُّ الموتَ ألذَّ طعمًا منه(2).

الموتُ ألذُّ طَعمًا، من فعْلِ الفاحشةِ

الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الذُّلُّ والخِزيُ:

الخزيُ ذلٌّ لقُبح فعلٍ مع هوانٍ وافتضاحٍ، فالخزيُ أخصُّ منَ الذُّلِّ، والذّلُّ قد يوصفُ به على سبيل المدح إذا كان من نفسِ الإنسانِ على سبيلِ الانكسارِ والحياءِ، وأمّا الخزيُ فلا يكونُ إلّا ذمًّا، وقيل: الخزيُ الانقماعُ لقُبح الفِعْل والخَزايةُ الاستحياءُ لقُبح فعلٍ؛ لِأَنَّهُ انقماعٌ عَنِ الشَّيْءِ لِما فيهِ منَ العَيْبِ(3).

الذّلُّ يكونُ في المحمودِ والمذمومِ، والخزيُ لا يكونُ إلّا مَذمومًا

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/215، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/85، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/66.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/85.

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 250، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (خزي).